بريق الظلمة!

ظلّا الشكيلي*

دعها، لا تُغلقها، اترك بابها مواربا، اتركها لي، واتركني لها ، تقرضني تجسسا على ما ينام في صدر الكون من آثام. دعها ، فإني أبصر بها الحقائق، وأفضح بها الدسائس.

ولتكف ثرثرتك المشحونة بغضب عن إرسال لعناتها إلى وحدتي، لا رغبة لي في الخروج من مخدعي، فليس في الخارج سوى الضجيج. لا يسكن البيوت والشوارع والأزقة سواه، حتى الفرح يُمطرُ ضجيجا من غياب، ويظل الحزن وحده يتربص بالقلوب، يتساقط في الدروب والشوارع، والسكك والأزقة الفارغة إلا من الموتى. تكتض به الحماقات، ويتكاثر في يباب المشاعر، يُعبَدُ للنفاق أرصفته، لتزدحم الخطوات بها، خطوات تحمل ضمائر متوفاة، على ألواح جسدية.

الكُل ينافق، ويدلس المشاعر، ويغوص في وحل الخطيئة، تتربص به الظلمات.

كم هي عدد الأرواح المُشردة في لُج الخطيئة؟! كُل الذين عبروا ذاكرتي، تدلس عيوبهم الظلمة! أراها الآن، من هذه الشرفة ، بوضوح ، تُمسك بتلابيب أراواحهم، تفضحهم، وهم في غفلة عنها، بل في غفلة منها.

هذه المدينة المكتضة بالبشر، لا أعلم متى يستيقظ الضمير فيها؟! ولا متى يغطُ في سباته؟ لكني أعلم أن الظلمة حالكة فيها، وأن الضوء بابه موارب بألف خديعة. والنفاق سيدٌ يعتلي عرش القلوب المتخمة بشهوة المال والمنصب.

النفاق، وليد المصالح وابنها المُدلل، يزكي نفسه بالفرح البليد، وأي فرح ذاك الذي يمتطي صهوة نفاق؟! أي فرح يتسلق على كتف كذبة، يتكئ عليها ليصل إلى مصلحة عابرة!

نكتة من دنس الخطيئة، رانت على القلوب، فجانبتها الصواب، وسحبتها ناحية جُب من الظلمات.

مدينة تتناقل الأجساد فيها، ولا تسمع سوى صلف المعادن الرخيصة، وهي ترتدي الرقاب، تجرها جرا ناحية النميمة، وتلبسها قناع من زيف! تماما كما ترتدي القلوب زيف المشاعر، تجرها ناحية الخطيئة.

لا تظن أنني أتوحد مع ذاتي، لأنني أخشى ذاك الذي يرمقني بنظراته الهازئة، يلوك بلسانه ألف وشاية عني، فلم يعد يهمني من أمرهم شيئا، كنتُ كمثل من يعبرون الآن، من تلك الأرصفة، أخالني ملكا، والحياة تزخرف لي مفاتنها، إلى أن وقعتُ، ذات غرور، من سفح عالي، وأصبحتُ أراني ممددا على لوح الإفلاس، إلا من الحسرة.

ركلتني الأقدام يومها، وأنا أئن بوجعي، والأنياب التي كانت تبرز لي حين أصافحها، صباح مساء، عرفتُ بعد الواقعة، بعد انتكاسة مالي وحالي، انها أنياب ليوث ماكرة، حسبتُها فيما مضى تضحك لي، فإذا بي اكتشفُ، أنها كانت تعدُ نفسها لقضم أضلاعي!.

وأنا الذي حين كنتُ أرى أنيابهم، تُصافحني بين الغدوة والعشوة، وفي الصباح والظهيرة، أطيرُ فرحا بالبراقة ثيابهم، وهم يتحلقون حولي، ويحجبون عني ما يؤذي شيطان الهوى بي.

أوُلئك الذين كانوا، عند كُل لقاء، لا يكفون عن ثرثرة الدعاء، يُلقونه على مسامع سُلطتي، ترتفع أكفهم ناحية السماء، تشحنني كلماتهم فأمكثُ في غيبوبة الفرح المُخادع، زمنا أطول، كانوا كُلما علا منصبي، علت أصوات دعائهم لي، فأغدق عليهم مِنحي بلا حدود، وأنا أنتشي فرحا بقربهم مني.

الآن، كلما رأوني أتعثر في طريق، يُقطبون الجبين، ويحثون الخُطى، كي لا يصطدمون بأوجاعي، أنوفهم ترتفع ناحية السماء في أُنفةِ عني، فاعودُ أدراجي، وأنا أكنس الأرض بنظراتي، منكسرا، حائرا، حزينا.

أرخي الستار عليّ، لستُ أرغبُ إلا في وحدتي، وهذه النافذة، أتركُ بابها مُشرعا أبدا، تقرضني تجسسا على ما ينام في صدر الكون من آثام.

دعوني وهيّ، فلم يعد الزمان لي، والأكفف المُرتفعة ناحية السماء تعزف لحنها بعيدا عني.

http://olanotion.blogspot.com/

وجوه وظلال (١٧)

مختارات - صالح العامري*

ممرضات

كانت آخر كلمات اللورد بايرون لإحدى الممرضات الجميلات: "كنتُ أتمنى ألا أجدني عاجزاً عن تقبيل هاتين الشفتين"..

*****

لستُ بحاجةٍ للشفقة، لجريجوري كورسو، ترجمة عبدالوهابِ البيّاتي- من "صوت السنوات الضوئية":

عرفتُ ممرضات الشفقة الغريبات
رأيتهن يُقبِّلن المريض ويحدبن على العجوز
يقدمن الحلوى إلى المجنون
راقبتهنّ، في الليل، مظلمات وكئيبات
يدفعن الكراسي المتحرِكة بجانب البحر
عرفت كهنة الشفقة الكبار المترهلين
العجوز الرّمادية الشعر
الصغيرة
الكاهن الجار
الشاعر المشهور
الأمّ
عرفتهم جميعا
راقبتهمِ في الليل، معتمين وكئيبين
يلصقون إعلانات الرّحمة
على أعمدة القنوط.
×××
عرفتُ الشفقة العليّة القدرة نفسها
جلست بجانِب أقدامها البيضاء الناصعة.
كاسباً ثقتها
لم أتفوه بأية بذاءة
لكني ذات ليلة عُذبتُ من قبل الممرضات الغريبات، والكهنة المترهلين؛
العجوز الصغيرة ركبت سيارة مجنزرة فوق رأسي
الكاهن شق بطني ووضع يده في داخلي، وصرخ:"أين روحك؟ أين روحك؟".
الشاعر المشهور حملني وألقاني من النافذة
الأمّ تخلتْ عني!
هرعتُ إلى الشفقة مقتحماً خدرها فدنسته
وبسكين عمياء طعنتها ألف طعنة
ودعكتُها بالقاذورات
حملتها بعيداً على كتفي، مثل غول مفترس
تحت فحمة الليل الحجريّة
الكلابُ عوتْ، القطط ولتْ هارِبة،
جميع النوافذ أُغلقت
ألقيتُ بها على أرضية غرفتي الصغيرة
ركعتُ بجانبها، وبكيتُ وبكيت

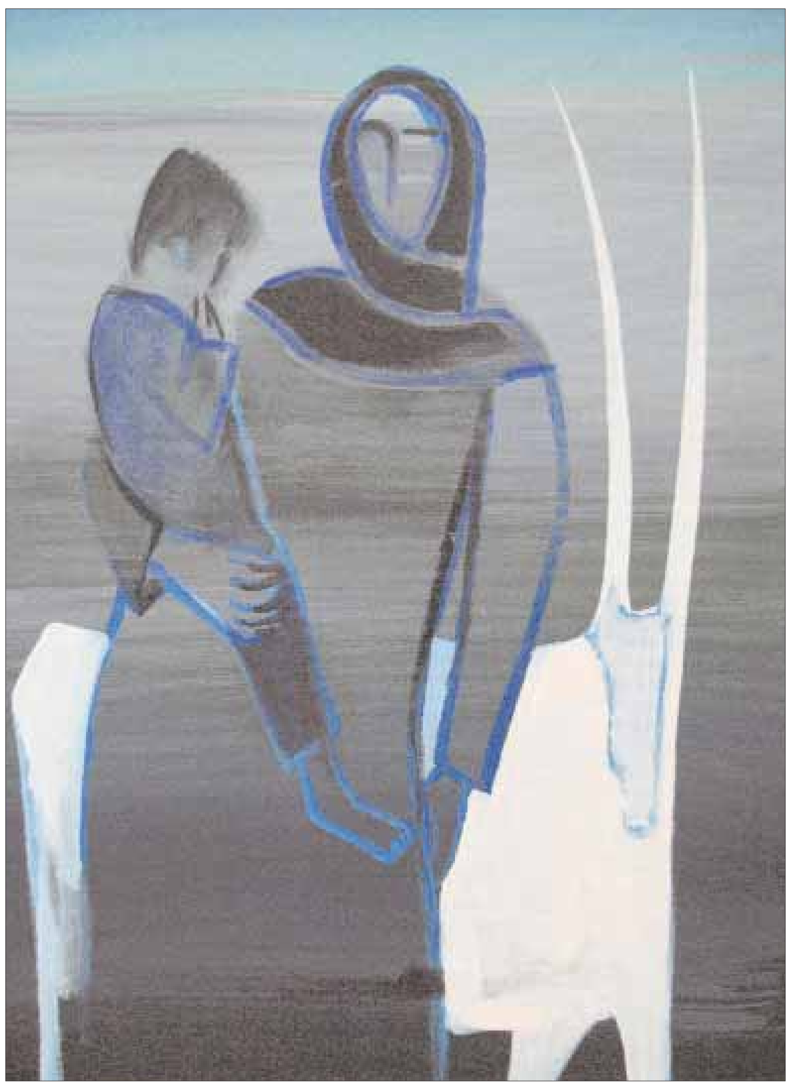

■ اللوحة للفنان سيلم سخي

******

في عام ١٩٢٩ كتب إيرِنست هامنجواي روايته "وداعاً أيها السلاح"، وفيها يكتسبِ أسلوبه النثرِيّ جمالاً شعرياً باهراً: يَعمد هامنجواي في تحفته الرِوائية هذه إلى إبراز التناقضات القاتلة بين الحرب على الجبهة الإيطالية عام ١٩١٨ وما تبعها من صراع وقتال ودماء وأهوال، وبين علاقة الحب المؤثرة بين البطل الأميركي الذي عمل سائقاً لَعربة إسعاف، والبطلة الإنجليزِية التي عملتْ كممرضة. ولعل السمة الأساس لقصة الحب بين الممرضة الإنجليزية وبين سائق عربة الإسعاف الأميركيّ: تكمن في الرومانسية المسرفة، وخاصة عند نهايتها المأساوِية.

******

أثناء زِيارة الشاعر الأميركي وولت ويتمان لأخيه الذي جُرح في فرجينيا عام ١٨٦١: اكتشف الحاجة الملحّة إلى الممرضينَ الذكور في مستشفيات الحرب الأهلية، لذا عمل ممرضاً في نهاية الحرب في واشنطن. وقد شاهد رعب الحرب ورأىِ في الجنود العاديينَ "الذينَ يُزجّون في الحرب: آخر دليل مُلِحّ على الديمقراطية".

******

عن حبّ بدر شاكر السيّاب، كتب عبدالجبار السامرائيّ:

كان بدر شاكر السيّاب في حالة حب دائمة حتى وهو على حافة الموت! يؤكد هذه الحقيقةَ صديقه الشاعر الكويتي علي السبتي بقوله: (لقد حدثني مرة عن واحدة من علاقاته النسائية، عن ممرضة لبنانية اسمها ليلى، تعرّف عليها بدر عندما رقد ذات مرة في مستشفى بيروت، وكانت ليلى هي الممرضة المسئولة عن علاجه. لقد كانت تعطف عليه، وهو يفسّر من جانبه هذا العطف بأنه حب! لقد أخبرتُ بدراً، وهو راقدٌ في المستشفى الأميري، بأنني ذاهب إلى بيروت لفترة قصيرة فطلب مني أن أمر على المستشفى اللبناني، وأن أسلم له على ليلى الممرضة التي يحبّها وتحبّه! وفي بيروت ومن أجل معالجة السياب نفسياً دار الحوار الآتي بين الشاعر علي السبتي والممرضة ليلى، قال لها السبتي: إن بدراً يحبك يا ليلى.

- إن ما بيننا لا يمكن أن يسمّى حباً، فهو مجرد علاقة بين ممرضة ومريضٍ فقط.

- ولكنه بحاجة إليك يا ليلى.

- وماذا باستطاعتي أن أفعل له؟

- الكثير... اكتبي له أولاً بأنك تتذكرينه.

- هذا محال.

- أرجوكِ، إن هذا ينفعه كثيراً ويساعده على استرجاع أنفاسه وقد ينقذه من الموت المؤكد الذي يحاصره.

- ماذا تريد مني أن أفعل؟

- اكتبي له رسالة، تستفسرين فيها عنه وعن أحواله، وتعبرين في سطورها عن اشتياقك له.

- حسنا، سأكتب له كل ما طلبت.

وفي اليوم التالي، تسلم الشاعر علي السبتي رسالة الممرضة ليلى إلى (محبوبها) السياب، ثم غادر بيروت متوجّها إلى الكويت، حيث كان بدر شاكر السياب راقدا في المستشفى الأميري.

ويضيف الشاعر السبتي: (في لحظة اللقاء الأولى معه، سألني بدر: هل قابلت ليلى؟ ما أخبارها؟ ضحكتُ. ثم قلت له وأنا أمد له رأسي، هذه قبلتي أولا لك بمناسبة عودتي من لبنان، وهذه قبلة ثانية: طلبت مني ليلى أن أطبعها على جبينك. فرح بدر كثيرا بهذا الكلام، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامات عريضة غطت على وجهه، وطلب مني ورقة، كتب عليها على الفور قصيدة عمودية مطوّلة عنوانها (ليلى) وهي من أجمل قصائده الغزلية منها هذه الأبيات:

قرِّبْ بعينيك منّي دونِ إغضاء
وخلِّني أتملّى طيفَ أهوائي
أبْصَرْتَها؟ كانت الدنيا تفجّر في
عينيكَ دنيا شموس ذاتَ آلاء
أبْصَرْتَ ليلى فلُبْنانُ الشموخُ على
عينيكَ يضحكُ أزهارا لأضواءِ
إني سألثمها في بؤبؤيك كمَنْ
يُقبِّلُ القمرَ الفضيَّ في الماء
ليلى هواي الذي راح الزمانِ به
وكاد يفلتُ من كفّيَّ بالداءِ
حنانها كحنان الأم دثّرني
فأذهبَ الداءَ عن قلبي وأعضائي

******

إلى ممرضةٍ حسناء للشاعر اليوناني سْكوكوس كونستنديتوس، ت. محمد حمدي إبراهيم:

يا أيتها الغادة التي لا تعرِف الشفقة ولا الرحمة، ترى ماذا تنشدين من الجرحى؟. تذهبين إليهم، لتداوي جرحاً واحداً، فإذا بكِ تصيبينهم بعشرة جُروح.■

* شاعر عماني

لياقة الفنان

عبدالكريم الميمني*

تتخذ المعارض التشكيلية الجماهيرية مداراً سلساً للتحدث بحرية وفي كل الاتجاهات إيجابية كانت أو سلبية حول الأعمال الفنية التي تحتضنها تلك المعارض ومن كافة اللهجات الثقافية ، وحتماً سيكون القول فيها مفتوح على مصراعيه لقراءتها والغور والغطس والنبش في أسرارها وفق ثقافة كل متلق ، والفنان هنا ما دام رفع يده عن اللوحة وقدم فيها كل ما يستطيع تقديمه من عصارة فكره ومشاعره ووافق على عرضها للجمهور ، فيكون بذلك قد سمح لنفسه أن يسمع ما يُحب وما يكره من ردود فعل تجاه عمله الفني فهو لا يستطيع بأية حال أن يَحُد من درجةِ تفاعل الجمهور مع لوحاته سواء كان ذلك التفاعل إيجابياً أم عكس ذلك ، لأن مساحة القراءة لها أفقها الواسع ما دام المتلقي يحاول أن يفسر معطيات اللوحات أو الأعمال الفنية وفق هواه ومزاجه الخاص ، أما إذا ما دخل المتلقي مع الفنان في نقاش حول ما تعنيه رموز أعماله وحاول أن يسبُر أغوارها بمساعدة الفنان فيكون حينها قد ضيق على نفسه رحابة ذلك الأفق وسيتجه سياق فكره نحو هدف الفنان ومقصده في أعماله لا على رؤية المتلقي وما يشعر به تجاه الأعمال المعروضة . وعلى ذلك فإنه يستوجب على الفنان عند مقابلة أسئلة الجمهور حول أعماله المعروضة أن يجتهد في جعل المتلقي يُفسر ويحلل أجزاء وعناصر العمل ويفكَ طلاسمه بنفسه من خلال مبادرة الفنان بطرح الأسئلة عليه تجاه ما يراه ويستشعره من معان في اللوحة بإتباع أسلوب معين في القراءة أو اتخاذ قراءة أسلوبية مع مراعاة خصوصية الإبداع التشكيلي الذي يسعى الفنان إلى إبرازه في عمله ، ويمكن للفنان أن يعتبر هذا السؤال مدخلاً أولياً لمرحلة النقاش التالية مع المتلقي فيسأل على سبيل المثال : ما هي المفردات أو الدلالات البصرية أو الإيحاءات التي تراها في العمل والتي تستطيع من خلالها أن تجذب الخيوط الباعثة على الفكر الذي تراه يتحرك في العمل وتشعر بأن له معنى خاص في نفسك ؟ وكلما ذكر المتلقي شيئاً من مشاعره تجاه العمل يثني الفنان عليه بسؤال آخر وهكذا إلى أن يصل معه إلى مرحلة التحليل والتذوق الفني المطلوبة للعمل الذي أمامه ، ويمكن للفنان أن يُساعد المتلقي في توضيح معاني العمل وما يشعر به تجاهه من خلال تفكيك اللوحة وتحديد العناصر المكونة لها من ألوان وأشكال وخطوط وكُتل ورموز وتكاوين وتجزيئها في سياق التعيين بغية الكشف عن هويتها الجمالية والإبداعية ويترك للمتلقي دور البحث عن الأنساق التي تتآلف حولها . فبذلك يكون الفنان قد قام بتحريك المتحف الخيالي لدى المتلقي ومنحه سلاسة الدخول إلى عمله ليصل به إلى إبراز الفكر الإنساني الخالص تجاه ما يشعر به ويحسه في ذلك العمل ، فهذه أحدى أهم رسائل الفن وهو الاستشعار الصادق والعميق بالمعاني التي يرسلها الفنان في لوحاته مكوناً معها حالة خاصة من اللذة الشعورية لتظهر معها الأعمال الفنية كنتاج إبداعي يحمل فكراً إنسانياً خالصاً يستأنس به كل من يصادفه.

إلا أننا في الوقت ذاته يجب أن نعلم أن كل إنسان يختلف شعوره وحسه عن الآخرين وبذلك فإن الانفعالات والمعاني المستخلصة من العمل الفني ستختلف من فرد لآخر لعدة أسباب أهمها أن حكم الإنسان يعود إلى الذوق وهناك فارق بين ذوق وذوق ، فذوق العامة يختلف تماماً عن الذوق الرفيع للإنسان المثقف فنياً ، وعليه فإنه يجب أن تتسع لياقة الفنان السلوكية في تعامله مع ردود أفعال الجماهير المشاهدة لأعماله ليحتويهم جميعا بسعة صدره وجمال ولباقة أسلوبه ورقي روحه المستمدة من الفن الجميل الذي يتعامل معه ، وإذا ما حاول أحدهم النيل من أطروحته الفنية بالعبارات الجارحة والغير لائقة فيجب عليه هنا أن لا يغضب منهم ويسعى إلى تمالك نفسه في هذا الموقف ، بل يُفترض سلفاً أن يتوقع منهم مثل هذه الردود فيحاول حينها وبشكل مباشر في مساعدتهم لتدعيم أساليب تعبيرهم تجاه الأعمال الفنية وتنمية قدراتهم البصرية بالتأمل المصحوب بالتفكير ليفهم المتلقي أن التأمل كمصطلح لا يعني إطالة النظر والرؤية بالعين المجردة ، وإنما يعني الرؤية بعين العقل والتفاعل الإيجابي مع تلك الأعمال للوصول بفكر الإنسان العادي إلى مراحل متطورة من الفكر المستنير ذو الشخصية الباحثة والمطلعة بتعمق في حقل الثقافة التشكيلية التي من شأنها أن توسع من مداركه الذوقية في مختلف مجالات الحياة بعد ذلك .

al-maimani@hotmail.com

العقل هو النسيج الموجود وجوهر التاريخ ومضمون الواقع

جان بول سارتر

الآراء والمقالات المنشورة في الملحق لا تعبر بالضرورة عن رأي

Printed at AL WATAN AL OMANEYA Printing Press

طبعت بمطابع الوطن العمانية